مقصودة وتعكس آراء وافكار المخططين الاقليميين في اسرائيل . ان محاولات التوطين في الضفة الغربية وغزة ثم طمس معالم القدس ما هي في الواقع الا جزء من خطة اقليمية منظمة طالما داعبت أحلام الصهاينة في « اسرائيل الكبرى » . ان هذه المناقشة ليست اتهاما بلا اساس ، بل ان هناك من يدعمها من حقائق واضحة . ففي سنة ١٩٧٠ صدر عن قسم التخطيط في وزارة الداخلية الاسرائيلية في القدس كتاب تحت عنوان « هضاب القدس ونابلس : ارشادات لتخطيط اقليمي وطبيعي » . والكتاب عبارة عن خطوط عريضة لمحاولات الدمج الاقليمي بين فلسطين المحتلة (اسرائيل) ومناطق الضفة الغربية وغزة. والكتاب يوزع فلسطين بأكملها الى محاور اقليمية ، كل محور له مركزه الخاص به وهو عادة مدينة كبرى كالقدس ونابلس .

ثم يتابع المؤلف بحث الاستيطان الزراعي في فلسطين وما تبعه من مشاكل التكيف البشري للبيئة الجديدة ، والى الاشارة بأن المشاكل البشرية كانت أصعب دائما من مشاكل استغلال الاراضي الزراعية ، ويشير المؤلف بشكل رئيسي الى مشاكل اليهود الشرقيين الذين يعانون من نقص في نوعية القيادة .

ان على القارىء العربي ان يدرك عدة جوانب من هذا الكتاب اذ انه اولا موجه بشكل رئيسي لقارىء غربي حاولت أجهزة الدعاية الاسرائيلية ان تبقيه قابعا في زوايا من الجهل المطبق عن حقيقة الكيان الاسرائيلي ، وثانيا فانه تحت ستار كونه « عملا علميا » يحاول القاء الضوء على قدرة خارقة لمستوطنين صنعوا من الصحراء وكثبان الرمل حدائق غناء وجنائن زراعية ، وثالثا فان الكتاب يصور فلسطين على انها بيئة جغرافية مرتبطة تاريخيا بالشعب اليهودي وهو بذلك يحذف كل اشارة الى شعب عربي تمتد جذوره في عمق التاريخ الحضاري للانسان. ان الشعب الفلسطيني في نظر هذا الكتاب هو استمرار للنظرة الصهيونية الضيقة والبالية التي حاولت تحت الخداع الدعائي ان تصور فلسطين بأنها واقع جغرافي بلا شعب اعطيت لشعب بلا واقع جغرافي .

مثال لهذه المغالطات المتعمدة والضاربة بعرض الحائط لكل اساس علمي هو الوصف التالي لعملية الاستيطان اليهودي : « انه لمن السخرية ان نلاحظ بأن المستوطنين اليهود الحديثين ، الذين هم انحدار من الاسرائيليين الذين سكنوا هضاب القدس ونابلس، قد استوطنوا المناطق الساحلية والداخلية المغطاة بكثبان الرمل والمستنقعات. ان هذه المناطق كانت مناطق « خالية » و « متخلفة » غير مستغلة من عرب الهضاب والتلال ولكنها أصبحت منتجة بفضل الاستيطان الصهيوني خلال عمليات الصرف واستصلاح التربة ، ومشاريع الري » .

ان هذا الوصف ما هو الا جزء صغير في سلسلة حلقات قدمتها المؤسسة الصهيونية تحت رداء العلم للقارىء الغربي وهدفها دائما واحد وهو طمس عروبة فلسطين وابعاد أي ارتباط بين الشعب الفلسطيني وبيئته الجغرافية ، ثم تصوير الوضع بطريقة توحي بأن الاسرائيليين لم يأتوا كطلائع استيطانية استعمارية من اوروبا وامريكا ، بل انهم سكان أصليون لهضاب الضفة الغربية ، وهم بوجودهم في هذه المناطق انما هو عودة « طبيعية » الى بيئة جغرافية اصلية طالما سكنها اليهود .

عبد الاله ابو عياش